الجمهورية العراقية
وزارة الثقافة والفنون
المؤسسة العامة للآثار
بغداد

سومر

الجزء الاول المجلد الثالث والثلاثون ١٩٧٧
والثاني

مجله علميه تبحث في اثار الوطن العربي وتاريخه

رئيس التحرير
الدكتور مؤيد سعيد
مدير التحرير
علي محمد مهدي

ثبت الجزء

الصفحة		الكاتب
٣	تقديم	الدكتور مؤيد سعيد بسيم
٩	دراسة آثارية مقارنة لتاريخ الآلات الموسيقية في مصر والعراق القديم	الدكتور ضيحي انور رشيد
١٨	فخار نينوى ٧	صباح عبود
٢٥	تل الفخار (كورروخاني) تقرير شبه نهائي عن نتائج اعمال الحفريات ١٩٦٧—١٩٦٨	الدكتور ياسين محمود
٦١	لقى أثرية من جراء اعمال المسح الاثري في اراضي الجزيرة (وسط العراق)	عبدالقادر عبدالجبار
٧٠	المستعمرة الآشورية في آسيا الصغرى	الدكتور سامي سعيد الاحمد
٩٧	من أور كلدان الى ارض كنعان	محمد وحيد خياطة
١٠٤	الشاه محمود النيسابوري خطاط ومذهب	الدكتور عيسى سلمان
١١٢	جرة الرقة الخزفية في المتحف الوطني بدمشق	الدكتور محمد ابو الفرج العش
١١٩	تحريات أثرية قرب الاخيضر	الدكتور كاظم ابراهيم حسن
١٢٦	ادارة بغداد ومراكزها في العصور العباسية الاولى	الدكتور صالح أحمد العلي
١٤٧	السراج الاسلامي في العراق	خالد خليل حمودي ، نجاة يونس
١٦٤	منجنيق الحضر	تعريب الدكتور وائق اسماعيل

■ التصميم الفني هيفاء عبد الرحمن ـ سهاد علي عبد الرضا ■ تصميم الغلاف الخارجي ٥ هيفاء عبد الرحمن

جرة الرقة الخزفية

في المتحف الوطني بدمشـــق

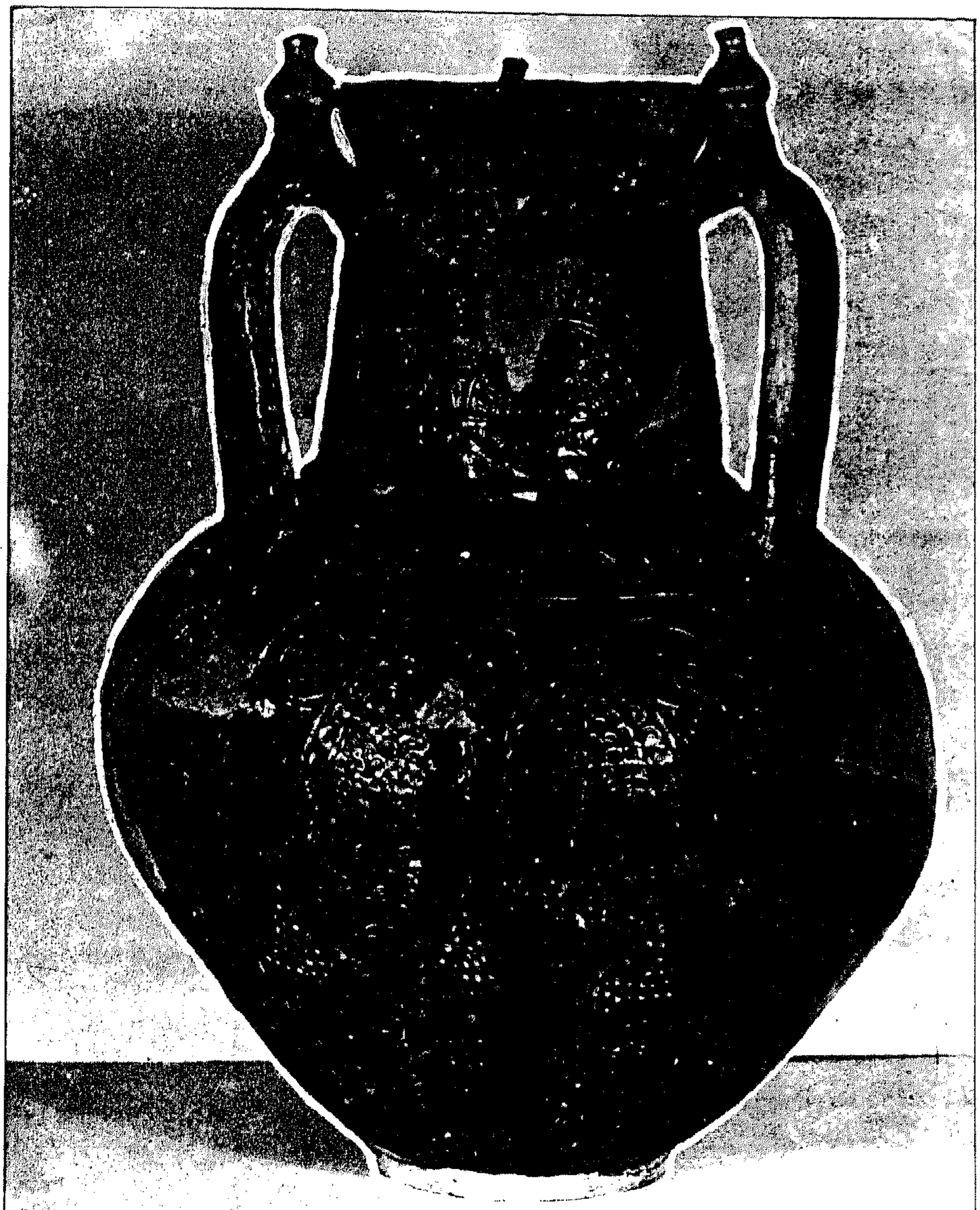

(الدكتور محمد ابو الفرج العش)

الخزف [1] أحد مظاهر الصناعة التي كانت ميدانا واسعا ومرتعا خصبا لنشوء الفن العربي الاسلامي ونموه وازدهاره من خلال العصور.

هذه المادة (ومادة الفخار) التي كانت تلبي حاجات الانسان القديم بسهولة ويسر ، كانت معرضة دائما للكسر والاهمال ، فكان

الانسان يرميها ، وما كانت الطبيعة قادرة على اتلافها . لذا فقد كانت شاهدا على وجود الانسان في كل عصر واينما حلّ . ويعتبرها علماء الآثار من أفضل الوثائق التاريخية ، وخاصة اذا كانت تحمل رسوما تمثل مستواه الفكري والفني ، وتسجل معتقداته .

واذا كانت القطعة الخزفية تحمل كتابة ، فان قيمتها تسمو كلما كان النص مفيدا فيثبت تاريخا ، ويدل على مكان الصنع ، او يشير الى الصانع او الحاكم الذي صنعت له .

الجرة الخزفية التي نحن بصددها وجدت في الرقة [٢] في اثناء التنقيبات [٣] التي اجريت في القصر (ب) والذي ثبت انه قصر الخليفة المعتصم [٤] ولكن هذا لايعني ان الجرة من عهد المعتصم (٢١٨–٢٢٧ هـ = ٨٣٣–٨٤٢م) .

هذه الجرة مهمة جدا لأنها تعطينا فكرة واضحة عن نشوء الفن العربي الاسلامي ، فهي تجمع بين ثلاثة مظاهر فنية تدل على التأثر بالفن السوري الفراتي من العهد الروماني وبالفن الايراني البارثي والساساني والمدرسة الفنية العربية الاسلامية التي وشّحتها بكتابة عربية ذات اهمية باليوغرافية [٥] ولغوية وتاريخية .

الخزف السوري في حوض الفرات من العهد الروماني ■

يتميز من كل انواع الخزف الروماني ، فهو مطلي بطبقة زجاجية خضراء أو خضراء زنجارية (اخضر يميل الى الزرقة . اشكال الجرار والدنان والحقق متفاوتة ، لكن اجملها ما كان له عنق اسطواني او مخروطي يتسع الى الاسفل مختوم بالاعلى بشفة مندمجة قليلة البروز . له في الاغلب عروتان جانبيتان ، تتصلان بالشفة وتنعطفان بشيء من الحدة حتى تستويا قائمتين على كتف الجذع . قد تزين العروتان بشيء من التجعيد او الجدل وبالحبيبات والأقراص . اما الجذع فيزين احيانا ببعض الخيوط القليلة المضافة او الاقراص .

في مدينة دورا أوروبوس [٦] (صالحية الفرات) وجد عدد كبير جدا من الجرار والدنان ، كما وجد منها ايضا في مناطق أخرى من وادي الفرات . ووجد قرب مدينة الرقة تابوت من الخزف الاخضر الزنجاري من العهد الروماني زين بزخارف بارزة ، وهو مودع في المتحف الوطني بدمشق

الخزف الايراني من العهد الساساني : ■

الخزف الايراني في العهد الساساني ، صناعة متصلة بالخزف القديم وقد برع الايرانيون بهذه الصناعة وخاصة صناعة الالواح واللبنات الخزفية المزججة من الوان متعددة غشوا بها جدران القصور .

يوجد في كثير من المتاحف الاوربية والامريكية والعراقية وخاصة بابل الواح خزفية ايرانية ورافدية مثلّث عليها رسوم بارزة من هذا الخزف .

اما الاواني الخزفية في العهد الساساني فهي تتصل بصناعة الخزف في العهد البارثي (٢٤٩ق.م–٢٢٦م) وهي ذات اشكال وحجوم متنوعة مطلية بطبقة زجاجية خضراء يميل لونها نحو الزرقة احيانا . يهمنا هنا في هذا الموضوع الجرار والدنان الخضراء او الزرقاء فهي تكون ذات رقبة اسطوانية وبطن كروي [٧] او بيضوي ولها عروتان صغيرتان او قائمتان . اكثر هذه الجرار والدنان عارية عن الزخرفة . وبعضها يحلّى بخيوط وأقراص ملصوقة ، وقد تحزّ بحزوز متعرّجة او مستقيمة ، نشر الاستاذ لين جرة خضراء زنجارية بعروتين قائمتين ، وذكر انه يجوز ان تكون من العهد البارثي او الساساني [٨] كما نشر الاستاذ باتلر والاستاذ نلسون دبيفواز عددا من الدنان من العهد البارثي [٩] تشير الى القرابة بين هذا النوع من الخزف في ايران وبلاد الرافدين ووادي الفرات السوري .

الخزف البيزنطي ■

من العجيب جدا ان صناعة الخزف في العهد البيزنطي انحدرت انحدارا عظيما في الوقت الذي عني فيه البيزنطيون بالصناعات المعدنية وخاصة الثمينة منها .

القطع الأثرية من الخزف البيزنطي قبل الاسلام قليلة لكن الخزف البيزنطي المعاصر للخزف الاسلامي كثير ، حتى اننا نلاحظ تأثيرا متبادلا بينهما ، وهذا لايعنينا في هذا البحث .

الخزف في فجر الاسلام ■

وجد خلال التنقيبات الأثرية في المواقع العربية الاسلامية المبكرة كثير من الفخار ، لكن الخزف يعتبر نادرا جدا . وجدنا في أسيس [١٠] قليلاً من الكسور الخزفية الخشنة المغشاة بطلاء زجاجي أسود أو أزرق يمكن ان يعطينا فكرة عن الخزف العربي الاسلامي المبكر ، وهو انه خزف بسيط جدا .

نشر الاستاذ لين [١١] جرة من الخزف الاخضر الزنجاري لم يحدد تاريخها بالضبط لكنه قال ربما كانت من العهد الساساني أو من العهد العربي المبكر. ( ) ونشرت صورة جرة خضراء [١٢] وجدت سنة ١٩٦٧ م في الخبر في المملكة العربية السعودية ، حفظت في متحف جامعة الرياض : يمكن تحديد عصرها بالقرن الثاني الهجري = الثامن الميلادي . لابد من ان يكون في محفوظات متاحف الفن الاسلامي أو الفن الساساني بعض الكسور والأواني التي تعود الى فجر الاسلام ، ولكن مع الأسف ربما كانت مخزونة ولم يتنبه اليها أحد [١٢أ]

كتابة على عنق جرة الرقة

اسقرب هنيا مريا واحمد الذي جعله عذبا فراتا عمل

اشرب هنيّاً مريّاً واحمد الذي جعله عذباً فُراتاً عُمله

كتابة على نطاق إناء من الخزف الرقيق ، وجد في الرقة

من عمل إبرهيم النصراني مما [صنع] [بالحيرة] [للأ] مير س

جرة الرقة التي هي مدار بحثنا ، وجدت اجزاؤها في قاع بئر مع اجزاء طاس شبيهة بها ، لكنه مزين فقط بحزوز . هذا كل ماوجد . نستدل من ذلك على ندرة الخزف العربي الاسلامي المبكر. ومن هنا تأتي أهمية هذه القطعة التي نصفها فيما يلي :

الوصف : ■

جرة من الخزف [١٣] المموه بطلاء زجاجي أخضر يميل في بعض الجوانب الى الشدة . لها ثلاث عرا قائمة كبيرة تبدأ من اعلى العنق وتتكىء على كتف الجذع ، توّج كل من ذراها بنتوء خذروفي لطيف من ابداع عربي ، وزين ظاهر العرا بمجموعتين من الخطوط المستقيمة المحزوزة المائلة مثلثا متعامدتين عدة مرات . الشفه منفرجة قليلاً ، العنق اسطواني ينفرج قليلاً الى الاسفل ، الجذع اجاصي كثير الانتفاخ من الاعلى ينتهي بقاعدة قصيرة جدا وصغيرة بالنسبة الى حجم الاناء .

الجرة مؤلفة من اربعة اجزاء . صنع كل جزء لوحده بواسطة القالب ليكتسب زخرفة بارزة . ثم لحمت الاجزاء بعضها مع بعض ببراعة فائقة ، وموّه الصانع مكان الالتحام بتجعيدات أو بنتوء زين بشيء من التحزيز . وبالرغم من اتقان عمل الصانع فان لحم الجزء الاعلى من الجذع مع الجزء الادنى لم يأت متطابقا بل انحرف قليلا فانحرف اتجاه الزخرفة انحرافا جزئيا لم يؤثر على جمال الزينة . لكنه يشوش وضعها ويقطع استمرارها . وربما أدّاها ميزة خاصة .

زُيّن ظاهر الشفة المنفرج بتعبير نباتي دقيق متكرر قوامه زهرة ثلاثية الوريقات ، وينبثق من أسفلها فرعان يشكلان في الجانبين حلقتين مستديرتين ترتكز على تكرار هذه الفروع زهرات ثلاثية اخرى ، شغل الفراغ في الاعلى حبيبة بين كل زهرتين .

أما القسم القائم من الشفة فقد زين بصف مؤلف من زهرة متكررة محمولة على عرق رفيع يزدان بأربع وريقات تتناوب مع تعبير مؤلف من نقط دقيقة يشبه عنقود العنب ولكن من دون ذنب .

العنق مزين في موضع الوصل مع الشفة بتجعيدات نفذت باليد ، وهو مزين بنطاق عريض وشريط مكتوب . النطاق زُيّن بأنصاف دوائر متقاطعة ، شغل داخلها بحلقات متراكبة على شكل حراشف السمك . أما الشريط فقد شغل بكتابة بارزة بالخط الكوفي الذي يميل الى اللين هذا نصها [١٤] :

« اشرب هنيئاً مريئاً ، واحمد الذي جعله عذبا فراتا ، عملت بالبصرة من عمل يحيى بن أمية لصاحب الحيرة وسمحة وخير »

في مكان التقاء العنق بالجذع موّه ببروز خفيف ثم وزعت زخارف الجذع على نطاقات متوازية : الاول والثاني والرابع كلها ضيقة أما الثالث وهو الرئيسي فهو عريض يستوعب اكبر جزء من الجذع .

النطاق الأول في أعلى الجذع زين بانصاف دوائر بارزة تتقاطع وتتلاقى في مراكزها ، شغلت الفراغات بين التقاطع بحلقات مستديرة تراكبت على شكل حراشف السمك .

ـرة من عمل ـلـيـل بن أمية لصاحب الحيرة وسمحة وخير

بصرة من عمل خليل بن أُميّة لصاحب الحيرة وسُمحة وخير

(تقليك محمد أبو الفرج العش - رسم محمد وفا الدجاني)

١٥ / ٤ / ١٩٧١

ن بن امير المؤمنين

بن أمير المؤمنين

(محمد أبو الفرج العش ١٠/٦/١٩٦٠)

النطاق الثاني زيّن بخيوط رفيعة بارزة متشابكة . تكوّن من تقاطعها ثلاثة صفوف من المعينات رصفت بالتخالف ، كل معين تضمن حبيبة .

زخرفة الجذع الرئيسية تكونت من دوائر متقاطعة متماسة في المراكز ، حصل من تقاطعها اشكال لوزية ذات اطارات ، شغل كل اطار بصف من الحلقات المتضمنة حبيبات وشغل قلب الشكل اللوزي بأنصاف حلقات متراكبة بالتخالف على شكل حراشف السمك . أما الفراغات العليا الناجمة من التقاطع فقد شغل كل منها بدائرة بارزة زينت بوردة ذات ست وريقات وقلب مستدير في مركزه حبة . أما الفراغ الاسفل بين التقاطع فقد ملىء بصفوف من حبيبات مرصوفة بانتظام .

النطاق الاسفل وهو الرابع شغل بصفين من المعينات رصفها بالتخالف وتضمن كل معين حبيبة .

اما الجزء الاسفل من الوعاء فقد زين ايضا بصفوف من المعينات تتضمن حبيبات .

الارتفاع ٤٣,٦ سم . القطر ٣٤.٤ سم

القيمة الفنية لهذه الجرة : ■

١- شكل الجرة : يمكن ان نعتبران الشكل العام للجرة يشبه ما نعرفه من شكل جرار الخزف السوري الفراتي في العهد الروماني اكثر مما يشبه الخزف الايراني من العصر البارثي او الساساني ولكن مع ذلك لم نجد شبها كبيرا ، لأن اتساع القفة الى الاعلى وضخامة البطن . وشكل العرا وخاصة النتوءات التزيينية فوق العُرا كل ذلك يعطي الجرة شكلاً متميزاً عن كل انواع الخزف

٢- يتميز لون الجرة بأنه أخضر يميل الى الشدة ، أما أكثر الخزف السوري الفراتي من العهد الروماني والخزف الايراني فهو اخضر يميل الى الزرقة أو أزرق (كجرة متحف فيلادلفيا) .

٣- تنفيذ الزخرفة على الأغلب في هذه الجرة يعتمد على الصنع بواسطة القالب للحصول على تعابير قليلة البروز ، واليسير منها يعتمد على العمل اليدوي كحزظاهر العرا . وتمويه مكان الوصل في البطن ، وتجعيد مكان الالتحام بين الشفة وأعلى العنق .

الخزف المزين بواسطة القالب يعتبر نادرا . نشر الاستاذ لين [١٥] خمس قطع خزفية هي المنشورة في اللوحين الرابع والخامس بعضها مصنوع في مصر وبعضها في العراق . ولكن لايوجد بينها اية جرة .

ونشر الاستاذ بيندر ويلسون [١٦] صحنا كتب عليه بيت من الشعر. نستطيع ان نقول ان هذه الاواني جميعا زينت بزخارف بارزة بواسطة القالب [١٦أ] بتقنية متشابهة : البروز قليل . الزخرفة دقيقة الصنع متقن . هذه الاواني يقدر تاريخها بين القرنين ٢-٣هـ= ٨-٩ م .

٤– التعابير الزخرفية يمكن تصنيفها على الشكل التالي :
هندسيـة تعتمد على الدوائر وأنصاف الدوائر المتقاطعة وعلى شبكات من خطوط شبه مستقيمة متقاطعة ، يضاف اليها التعابير الحرشفية .
نباتيـة : تتمثل بزهيرات في شريطي الشفة ، ووردة فـي الفراغ بين تقاطع الدوائر .
كتابيـة : تنحصر الكتابة في شريط في اسفل العنق رقمت بالخط الكوفي البسيط . الغرض منها التعريف والدعاء لا الزخرفة . وهذا ابداع عربي صرف بدأ بالتعريف ثم تطور الى غرض تزييني فيما بعد .

هذا التأليف بين هذه العناصر فيه كثير من الاتقان والدقة وفيه ابداع في التوزيع والتنسيق لايجاد التوازن . لم نر لهذا التأليف والتنسيق مثيلا سابقا لافي الفن الروماني ولا في الفن الايراني القديم أوالساساني ولكن سنرى قريبا منه فيما بعد على الخزف المحزوز الذي عرف في القرنين ٤–٥هـ=١٠–١١م وخاصة فيما يتعلق بالتعابير الهندسية المعتمدة على الدوائر .

Lane: op. cit., pl. 30, figs. A and B.
Pope: op. cit. pl. 583, figs. A and B; pl. 584, fig. B; pl. 587.

لهذا فانا نعتبر هذه الجرة في غاية من الأهمية لأنها تمثل التوفيق بين اشكال الأواني القديمة وألوانها ، وتبدي ابداع زخرفة دقيقة نفذت بالقالب ، وتحمل كتابة يمكن أن تهدينا الى تأريخها بشيء من الدقة .

دراسة النص المكتوب ■

١– من الناحية الباليوغرافية : كتب بالخط الكوفي الاقرب الى اللين والتدوير ، مع ان الخط الكوفي المزوّى معروف تماما في تلك الفترة . يبدو أن الصانع الذي نقش القالب بكتابة معكوسة لتأتي سوّية بعد التنفيذ . تعذر عليه اتقان الخط بالكتابة على الطين . وهو بالتالي ليس خطاطا . ولكن مع ذلك اعطانا فكرة صحيحة عن الخط الدارج بين الناس في ذلك العصر .

نلاحظ ان (الماء) في كلمة (هنيا) فيها شيء من القسوة غير المعهودة في النص . و(النون) في الكلمة نفسها رسمت نونا فهلوية وهي في الكتابة الفهلوية تأتي عادة حرفا منفصلا أو متصلا أخيراً ولا تأتي متوسطة . ليس لهذه (النون) مثيل في الكتابات العربية لاقبل الاسلام ولا بعده . كما ان (الألف المقصورة) في كلمة (يحيى) اتت متصلة بالحرف السابق بحيث غابت (الياء) .

أما (الهاء) أو(التاء المربوطة) المتصلتين في الكلمات (جعله) و(أمية) و(سمحة) فقد رسمت جميعها قريبا من الحرف الفهلوي على نحو ما رقمت في كتابات قبل الاسلام وفجر الاسلام .

أما (ميم) كلمة (سمحة) فهي أيضاً تلفت النظر باعوجاجها الذي يدل على قدم النص . كلمتا (يحيى) و(خير) منقوطتان . النقط معروف من العهد الأموي لكنه لايستعمل الا لدفع الالتباس .

٢– من الناحية اللغوية : النص سليم ، ولكن من الناحية الانشائية نلاحظ ان كلمة (عمل) بعد (عملت) فيها شيء من الركاكة .

اما كلمة (سماحة) فقد رسمت من دون الف ، هذا مألوف في الأسماء الاعلام أكثر من الكلمات العادية [١٧] .

٣– من الناحية التاريخية : نحصل على المعلومات التالية :

أ) عمل هذا الاناء لصاحب الحيرة . أي أن للحيرة صاحبها أي عاملا وهو موظف اداري ينبغي ان يكون مرتبطا بوالي الكوفة . هذا هو المألوف والمعروف من كلمة (صاحب) ، ولكن ربما كان صاحب الحيرة وجيها منحدراً من احدى اسرها القديمة . ليت الصانع ذكر اسمه . اذن لاستطعنا ان نحدد تاريخ الاناء بكثير من الدقة .

هذا الخبر مهم وهو يصحح بعض ماجاء في المراجع الجغرافية . يقول المقدسي [١٨] وهو يتحدث عن الكوفة : « ... وكان البلد (أي الكوفة) في القديم الحيرة ، وقد خربت .. » المقدسي هنا يوهمنا ان الحيرة والكوفة بلد واحد أو جزء منها خرب . الا ان ابن حوقل [١٩] يجعل القادسية والحيرة والخورنق مواضع على سيف البادية مما يلي المغرب تبعد عن الكوفة مرحلتين . ثم يقول : « والحيرة مدينة قديمة أزليّة طيّبة التربة مفترشة البناء . وقد خفّ اهلها . بل ولم يبق منهم الا القليل بعمارة الكوفة . وبينها وبين الكوفة نحو الفرسخ » . اما ياقوت [٢٠] بعد ان يروي قصّة نشوء الحيرة في القديم ويتحدث عن ملوكها ويلخص عمرها بقوله : « فعمرت الحيرة خمسمائة سنة وبضعا وثلاثين سنة الى ان عمرت الكوفة . ونزولها (كذا) المسلمون » . ويعني هنا ياقوت ان الحيرة انتهى اجلها بتشييد الكوفة .

ان وصف ابن حوقل في هذا المقام أدق وأضبط . فالحيرة لازالت غير الكوفة . وفيها أجرى الأستاذ تالبوراپس تنقيبات اكتشفت من خلالها آثار تعود الى القرنين الثاني والثالث الهجريين = ٨–٩م . وقد ورد اسم الحيرة على جزء ابريق فخاري محفوظ في متحف دمشق سنتحدث عنه بعد قليل . اذن بقيت الحيرة بعد الاسلام . وربما بقيت الى القرن الرابع الهجري = العاشر الميلادي أي الى عهد ابن حوقل الذي اخبرنا ان اهلها قد خفّوا (أي قلّ عددهم)

لم يرد اسم (الحيرة) على النقود . وهذا طبيعي لأن المدينة الجديدة وهي (الكوفة) كانت هي المركز الرئيسي في المنطقة .

ب- اسم الصانع يحيى بن أمية وهوعربي مسلم—حسب مايبدومن اسمه—. وجدنا في الرقة جزءا من اناء فخاري رقيق معاصر صنع بالحيرة كتب عليه ايضا اسم الصانع وهو ابراهيم النصراني [٢١]—واليكم النص :

« من عمل ابراهيم النصراني مما (عمل) بالحيرة للأمير سليمن بن امير المؤمنين » هذا النص أيضاً مهم لأنه ينبئنا صنع اناء في الحيرة ويعلمنا اسم الصانع المسيحي . نفذت الكتابة والزخرفة أيضاً في هذا الاناء الفخاري بواسطة القالب وقد وجد الاناء الخزفي والاناء الفخاري في الرقة . يعني ان هذين الانائين متعاصران . ولما كان النص المكتوب على الاناء الفخاري يذكر « سليمن بن أمير المؤمنين » فقد رجعنا الى المصادر لنتعرف عمن كان اسمه (سليمن) وكان (ابن امير المؤمنين) فوجدنا سليمان ابن عبدالملك (الذي أصبح خليفة سنة ٩٦ هـ = ٧١٥ م) وسليمان ابن هشام بن عبدالملك (توفي سنة ١٣٢ هـ = ٧٤٩ م) . وسليمان ابن يزيد بن عبدالملك . هؤلاء من العهد الأموي ونحن نستبعد ان يكون الاناء من ذلك العهد . اما الأمراء العباسيون المسمّون (سليمان) فلم نجد الا سليمان بن أبي جعفر المنصور [٢٢] الذي تولى ولاية طبرستان سنة ١٧٣ هـ = ٧٨٩ م وولاية البصرة في السنة نفسها وولاية دمشق بين (١٩٥–١٩٨ هـ = ٨١٠–٨١٣م) . نقدر ان الاناء صنع له عندما كان واليا للبصرة حوالي سنة ١٧٣ هـ = ٧٨٩ م .

ومن الطريف ان الاستاذ تالبورايس [٢٣] الذي نقب في الحيرة وجد كسرتين من الفخار الرقيق المصنوع بالقالب عليهما كتابة قريبة جدا من كتابة قطعتنا ذكر على الواحدة (... من عمل وعلى الثانية (ابراهيم و...) [٢٤] .

هذه الأجزاء الفخارية يمكن تاريخها بالربع الاخير من القرن ٢ هـ = ٨ م [٢٥] احدها صنع بالحيرة . والآخر وجد فيها . اما قطعتنا الخزفية فقد صنعت بالبصرة لصاحب الحيرة . ان اسلوب الخط في الجرة الخزفية والاجزاء الفخارية متقارب لذا نطمئن الى تاريخ هذه الجرة بأواخر القرن ٢ هـ = ٨ م .

جـ- في النص مأثورات دعائية « اشرب هنيا مريا . واحمد الذي جعله عذبا فراتا » كلام جميل تترقرق فيه العذوبة والهناءة . ثم اختتم النص بدعاء آخر « وسماحة وخيرا » يشعر الانسان من خلال هذه الكلمات الى جو الهدوء والاطمئنان في ذلك العصر . الى عصر هرون الرشيد . عصر الرخاء والدعابة والرقة . هذا النص لم نجد له مثيلا من حيث مفهومه والمعلومات التي استقيناها منه .

الهـوامش

(١) نقصد بالخزف مايطلق عليه بالانكليزية Glazed Ceramic وبالفرنسية Céramique vitrée ou (glacisée). ونعتقد ان التعبير المستعمل باللغة الفرنسية

Ceramique emaillée مصطلح مغلوط الا من نوع الخزف الميناني . ذلك لأن الميا émail تركيب زجاجي عتم Opaque يكثر فيه اكسيد الرصاص . يستعمل لتجميل الزجاج بالاضافة الى الذهب كما تزوّق به الأواني المعدنية والحلي . وقد يستعمل أيضاً في تجميل الخزف كما هو الحال في الخزف الميناني الايراني . الخزف يصنع من غضار غني ببلورات الكوارتز لاكتساب المتانة . وان احسن ترابة لصناعة الخزف هي الكاؤولين Kaolin الموجود في الصين وبوهيميا وسواهما . وعندما تكون الترابة غير نقية فان الخزاف العربي المسلم كان يطلي الاناء المشوي بترابة نظيفة بيضاء . ثم يشوي القطعة ويصقلها ثم يرسم عليها زخارفة ثم يغطسها بمحلول زجاجي شفاف ملون او غير ملون وهو المرداسنج الذي حدثنا عنه القزويني (في عجائب المخلوقات) . ثم يعيد القطعة الى الفرن لتشوى للمرة الأخيرة . فينساح الزجاج ويكسو القطعة ويكسبها بريقا جميلا وصلابة من عوارض الطبيعة والاستعمال .

(٢) الرقة : مدينة تقع على الشاطيء الشرقي للفرات عند مصب نهر البليخ . وقد سميت الرقة رقة لأن مياه النهر تطفو . فتجعل الارض رقيقة ندية . مدينة الرقة موجودة قبل الاسلام اهلها عرب من قبيلة تغلب . كانوا معتنقين الدين المسيحي . فتحها القائد العربي عياض بن غنم سنة ١٧ هـ = ٦٣٨ م .

موقع الرقة العسكري والاقتصادي مهمّ . لذا أنشأ ابو جعفر المنصور ثاني الخلفاء العباسيين الى جوارها مدينة محصنة اطلق عليها « الرافقة » . جعلها مركزا لتجمع الجنود الصوائف . ولكن مع مرور الزمن توسعت الرافقة واتصلت بالرقة او الاصح بالرقة البيضاء والرقة السمراء والرَيْصَفة ... فأصبحت المدينة واسعة يبلغ قطرها عشرة كيلومترات . انتشرت فيها القصور . راجع مقالي المنشور في مجلة الحوليات الاثرية السورية – ج ٥ (١٩٥٧) ص ٥٣ – ٧٢ .

(٣) قامت بالتنقيب بعثة اثرية سورية برئاسة السيد نسيب صليبي سنة ١٩٥٢ .

(٤) وجد في القصر كتابة على الجدار [المعتصم] .

(٥) القصد من الدراسة هذه معاينة اشكال الحروف وتطورها .

(٦) اجرت بعثة فرنسية التنقيب في المدينة منذ سنة ١٩٢٢ . لكن كشف المدينة تم على يد بعثة امريكية اثرية موفدة من قبل جامعة ييل Yale . قامت بالتنقيب سنة ١٩٣٣ واكتشفت البعثة عددا كبيرا جدا من اللقى وزعت بين متحفي دمشق ومتحف جامعة ييل

(٧) وجدت في متحف Pheladelphia Maseum of art حرة كبيرة زرقاء بدون عرا مزينة بالخز

(٨) A. Lane: Early Islamic pottery, London, 1954, pl. I, p. 8.

(٩) Neilson C. DEBEVOISE: Parthian Pottery from Seleucia on the Tigris, Ann Arbor, 1934, P. 99, Nos. 288 and 289, pl. III, figs. 1 and 2. A. J. BUTLER: Islamic pottery, a study mainly historical, London, 1926, pl. LXXVII.

(١٠) اجريت تنقيبات في تل السيس الذي يبعد عن دمشق شرقا ١٠٥ كم (خط مستقيم) على يد بعثة أثرية المانية برئاسة الدكتور كلاوس بريش بين سنتي ١٩٦٢–١٩٦٤ . وجد في القصر وهو من عهد الوليد بن عبدالملك (ربما كان من عهد اقامته قبل خلافته) قليل من الكسور المغشاة بطلاء زجاجي اسود او أزرق .

(١١) Lane: Op. cit. pl. III.

(١٢) نشرت الصورة في العدد الاول من « محاضرات التاريخ والآثار » التي نشرتها جمعية التاريخ والآثار- جامعة الرياض -كلية الآداب-قسم التاريخ سنة ١٣٨٧هـ=١٩٦٧م

(١٢أ) وجدت جرة جميلة من هذا النوع في متحف المدائن في العراق .

(١٣) الجرة مسجلة في المتحف الوطني بدمشق تحت رقم ع/١٦٤٧٦ فرع الآثار العربية الاسلامية .

(١٤) سنعود لدراسة النص .

١٥ – Lane: op. cit. pl. 4, figs. B, E, and F, pl. 5, figs. A and B.

١٦ R. H. Pinder-Wilson: A luster relief Dish of the early Islamic period (The British Museum Quarterly, vol. XXVII, Nos. 3-4, pp. 91-94, pl. XLVII.)

(١٦أ) : يحسن ان نشير أيضاً في هذا المجال الى زخرفة الفخار المبكرة بواسطة القالب من العهد نفسه لدينا في متحف دمشق عدة اوان وأجزاء وجدت في الرقة مزينة بزخرفة دقيقة . وقد نشر الاستاذ آرثر بوب جرة فخارية فخمة بثلاث عرا وجدت في خوزستان من ايران . زخرفتها دقيقة مصنوعة بالقالب .

A. Pope: A survey of Persian Art Vol. V, pl. 555.

(١٧) أشرنا الى ذلك في بحث طويل عن تطور الخط نشر في مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية في المجلد (٢٣) : نشأة الخط العربي وتطوره-١-الخط العربي قبل الاسلام . ص ٥٥-٨٣ .

(١٨) المقدسي : احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم – ليدن ١٩٠٦ ص ١١٦ .

(١٩) ابن حوقل : صورة الارض (كتاب المسالك والممالك ... طبعة بيروت بدون تاريخ ص ٢١٥ .

(٢٠) ياقوت : معجم البلدان طبعة ليبزيغ ١٨٦٧ ص ٣٧٩ .

(٢١) ارجو مراجعة مقالي الأول عن الفخار غير المطلي في مجلة الحوليات الأثرية السورية . م ١٠ (١٩٦٠) ص ١٤٠ وما بعد .

(٢٢ زمبارو : معجم الأنساب والاسرات الحاكمة (ترجمة الدكتور زكي محمد حسن وحسن احمد محمود ورفاقهم) الطبعة الاولى .

٢٣ – Talbot- Riee: The Oxford excavations at Hira ARS Islamic 1

(٢٤) اشكر الأستاذ تالبوريس الذي ارسل الي صورة هاتين الكسرتين .

(٢٥) نشر كتابة هذا الجزء الفخاري الاستاذ ادولف فروهمان ظانا ان هذه القطعة وجدت في جبل اسيس في أثناء تنقيبات البعثة الألمانية (١٩٦٢-١٩٦٤ م) . ذلك لأن الدكتور كلاوس بريش رئيس البعثة ارسلها مع مستنسخ الكتابة دون استشارتي لو اعلمني لدللته على البحث الذي نشرتها فيه . وقد نسب غروهمان الفصل في هذه الكتابة وغيرها من متحف دمشق الى الدكتور بريش مع اني ارسلت بعضها اليه بنفسي والمستنسخ من رسمي

A. Grohmann: Arabische Palaographie, Wien, 1971, P. 73, No 26.

وبناء على ذلك اعتقد غروهمان ان سليمان هو الخليفة الأموي وأرخها خطأ بين ٩٦ و٩٩ هـ .

تحريات اثرية قرب الأخيضر

الدكتور كاظم ابراهيم

يحتل قصر الاخيضر مكانة كبيرة بين القصور العربية الاسلامية ، وبالرغم من هذه المكانة فان تاريخه الزمني مازال معلقا ، لان قصر الاخيضر غفل من جميع الكتابات التي تؤرخ له وغفل من المصادر التاريخية التي تتحدث عنه .

ولتحديد التاريخ الزمني للاخيضر على الوجه الدقيق ، ينبغي اجراء حفائر آثارية واسعة في المنطقة المحوطة به . لان المخططة التي تحت يدنا والمنقولة في الاصل عن صورة جوية [1] – انظر المخططة رقم (١) – ترينا هذه المخططة ان قصر الاخيضر وما حوله من كثبان محددة حسب رسمها الجوي يؤلف مدينة كاملة . وان هذه المدينة تنتشر في شمال القصر وشرقيه واجزاء اخرى من غربيه ، وان وادي الابيض القريب من القصر يشطرها الى نصفين ، النصف الشمالي الذي يقع على مسافة كيلومترين من بوابة القصر الرئيسية فوق الكتف الايسر للوادي المذكور ، يؤلف مستوطنا اثريا واسعا ، ويعرف هذا المستوطن محليا بـ « تلول الاخيضر » وقد كشفت التنقيبات الاثرية في هذه التلول من قبل بعثة المانية عام ٧٣–١٩٧٤ عن مجموعة من بيوت السكن ومسجد وبقايا محراب ، وان تلك البيوت مشيدة باللبن

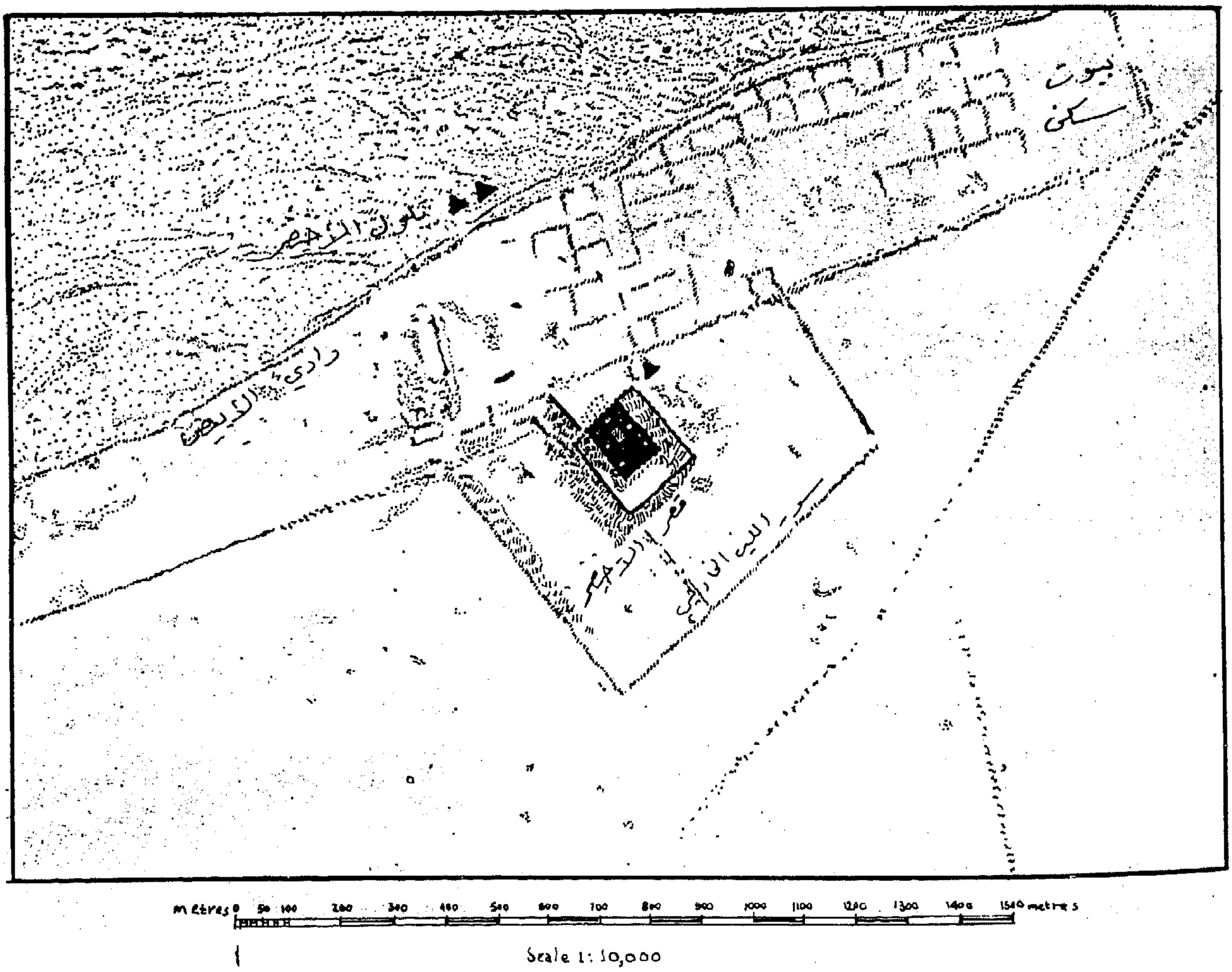

والبعض الاخر مشيد بالآجر وقد كشفت تلك الاعمال عن مجموعة من زخارف الجص والفخار وقوارير الزجاج أغلبها يعود الى العصر الاموي .

اما الكتف الايمن من وادي الابيض كما نشاهد في المخططة المذكورة ، فيضم مجموعة من بيوت السكن تنتشر امام القصر وشرقيه ثم يقترب امتدادها الى البرج الشمالي الشرقي لقصر الاخيضر بمسافة ٣٠ مترا ، انظر المصورات (رقم ١ ، ٢ ، ٣) ، وفي هذه الرقعة شيد مقر هيئة الصيانة الاثرية في حينه وفي الركن الشمالي الغربي من هذا المقر كشفنا عن بقايا دار مستطيلة الشكل هي جزء من امتداد اماكن السكن تلك ، وان مقاسات تلك الدار وبعض لقاه المعثور عليها تشبه تماما الدور المكتشفة في (تلول الاخيضر) المذكورة انفا ، وان قصر الاخيضر بحدوده المؤشرة في المخططة الجوية ، يعود لها او من زمنها او انه شيد بعدها بقليل حينما ازدهرت المنطقة لان قصر الاخيضر لايمكن ان يقوم وحده في هذه المنطقة الا وحوله مرافق سكن كثيرة تتبع له او يتبع لها ، فلابد هنا من اجراء حفائر اثرية واسعة حوله وفي داخله .

تم اجراء حفائر اخرى في منطقة خرائب « القصير » الذي يقع على مسافة عشر كيلومترات من قصر الاخيضر يمين الطريق العام الذاهب الى « عين التمر » وهذا القصر لايقل اهمية عن قصر الاخيضر من حيث انه هو الاخر قد يشكل مدينة واسعة والقصر لم تمسه يد البحث الاثري بعد .

والسؤال الذي يقابلنا بعد ذلك انه كيف توصلنا الى اكتشاف تلك الدار ؟ .

وينبغي قبل ان نتناول الحديث بالبحث المفصل عن هذه الدار ، ان نلقي نظرة اثرية فاحصة في رقعة الارض التي تم بها ذلك الاكتشاف ، وهذه الرقعة ترتسم قرب قاعدة البرج الشمالي الشرقي

٢- المستوطن الاثري في اثناء الحفر

٣-امتداد الحجر المكتشفة قرب برج الزاوية الشمالية الشرقية لقصر الاخيضر

١- منظر عام لمقر هيئة الصيانة الاثرية في الاخيضر

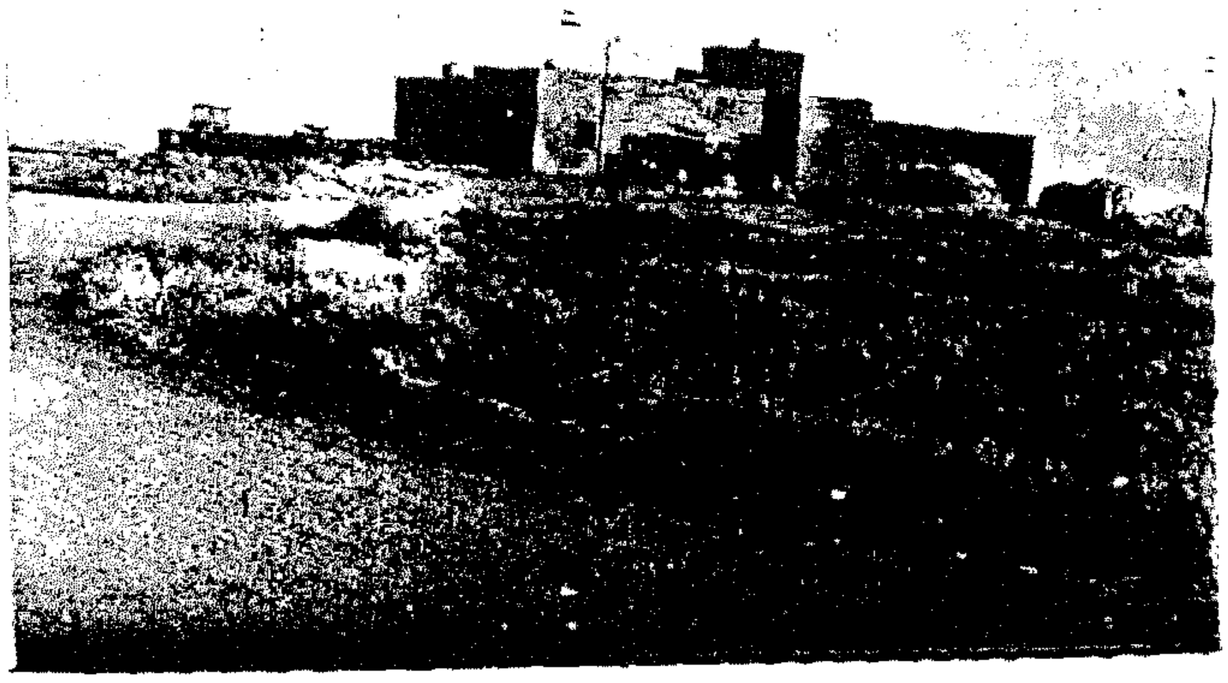

لسور قصر الاخيضر بمسافة (٣٠) مترا كما ذكرنا ، ثم تنحدر بصورة تدريجية عن تلك القاعدة وترتفع قليلا من ناحية الشرق بشكل كثيب واطيء ينتهي تحت وخلف المبنى لمقر هيئة الصيانة الاثرية ثم ينبسط من ناحية الشمال نتيجة التعديل والتسوية .

وفي خلال اقامتنا لصيانة قصر الاخيضر ابتداء من التاسع من ايلول عام ١٩٧٤ لغاية الثلاثين من شهر اذار عام ١٩٧٥ ووسط مشاغل العمل وجدت الهيئة ان الرمال الحصباء المحوطة بالقسم الشمالي الغربي من المقر قد غارت قليلا وظهرت ثمة جدران من اللبن نتيجة هطول الامطار يوم ٢٨ شباط ١٩٧٥ ، فاسرعت الهيئة الى تأشيرها بكسر الحجارة قبل جفاف الارض ، وفي اليوم التالي

عند انقطاع المطر ، وضعت الهيئة اثنين من العمال الماهرين لتتبع ما تبطنه تلك الجدران من معالم وبعد خمسة ايام من الحفر المتواصل تمكنت الهيئة من اكتشاف ثمانية حجر ، خمس منها تمتد من الشرق الى الغرب بالنسبة الى ابرة الشمال لمقر الهيئة وقصر الاخيضر ، ووجدت الهيئة ان الركن الغربي من الحجر المذكورة يضيع تحت قاعدة احد البرجين الشاخصين قرب برج الزاوية الشمالية الشرقية لسور القصر وهما من توابعه ، انظر المصورات رقم (٤ ، ٥).

اما الركن الشرقي من الحجر المكتشفة فيضيع ركنها الجنوبي الشرقي تحت مباني المقر المذكور انظر المخططة رقم (٢) والمصورة رقم (٦ ، ٧ ، ٨) .

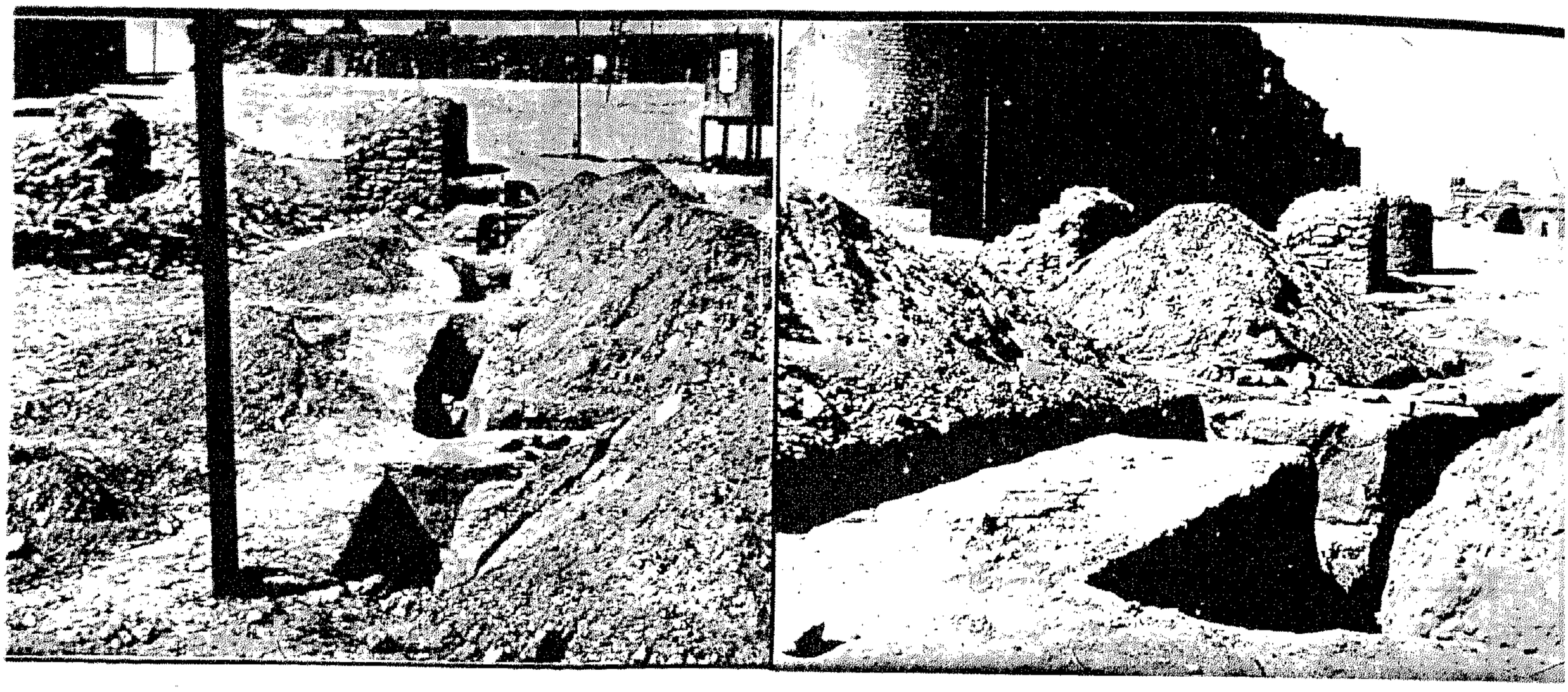

▲ ٤- المدخل الوسطي للحجرة رقم ٣ ، ٤ ويشاهد في طرفها الغربي بقايا برجين من توابع القصر.

▲ ٥- جانب من زوايا الحجر المكتشفة ويشاهد أحد الابراج وقد شيد فوق طرفها الغربي

▼ ٦- الجانب الشرقي لجدران الحجر المكتشفة

▼ ٧- جانب من الحجر [١ ، ٢ ، ٧]

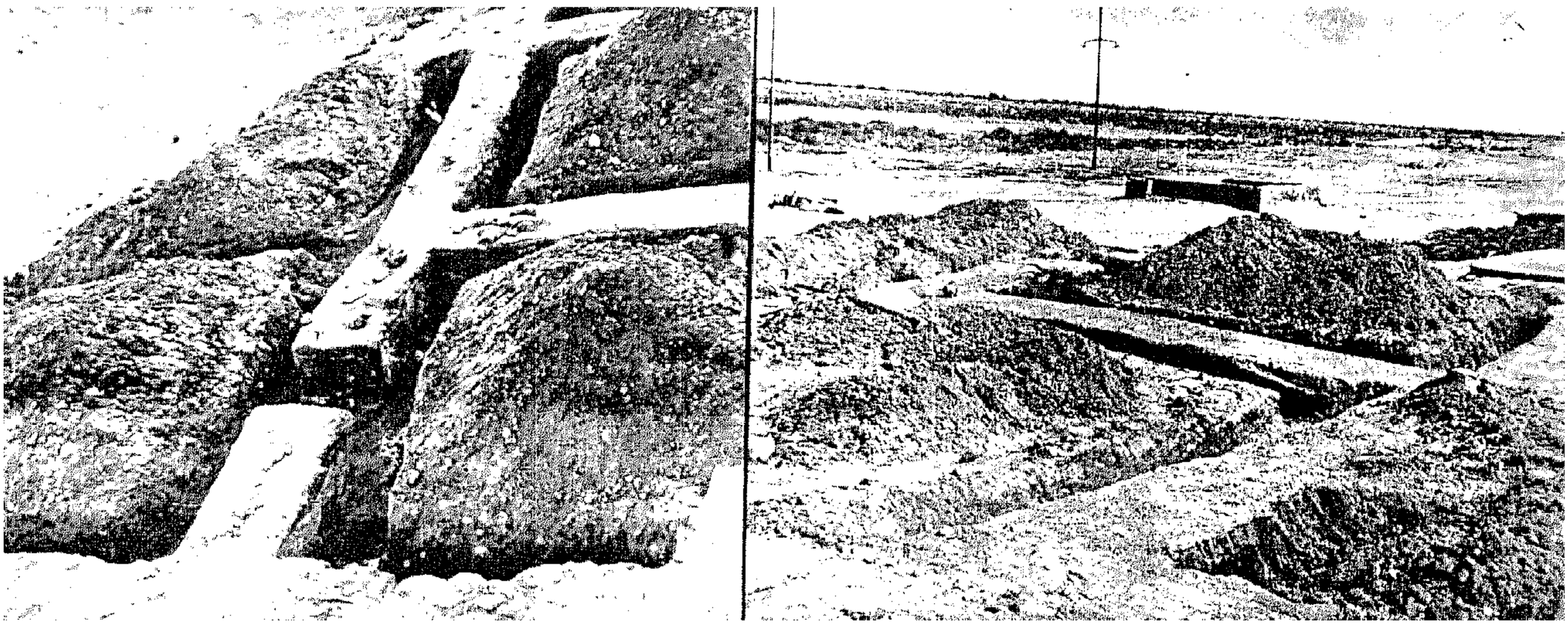

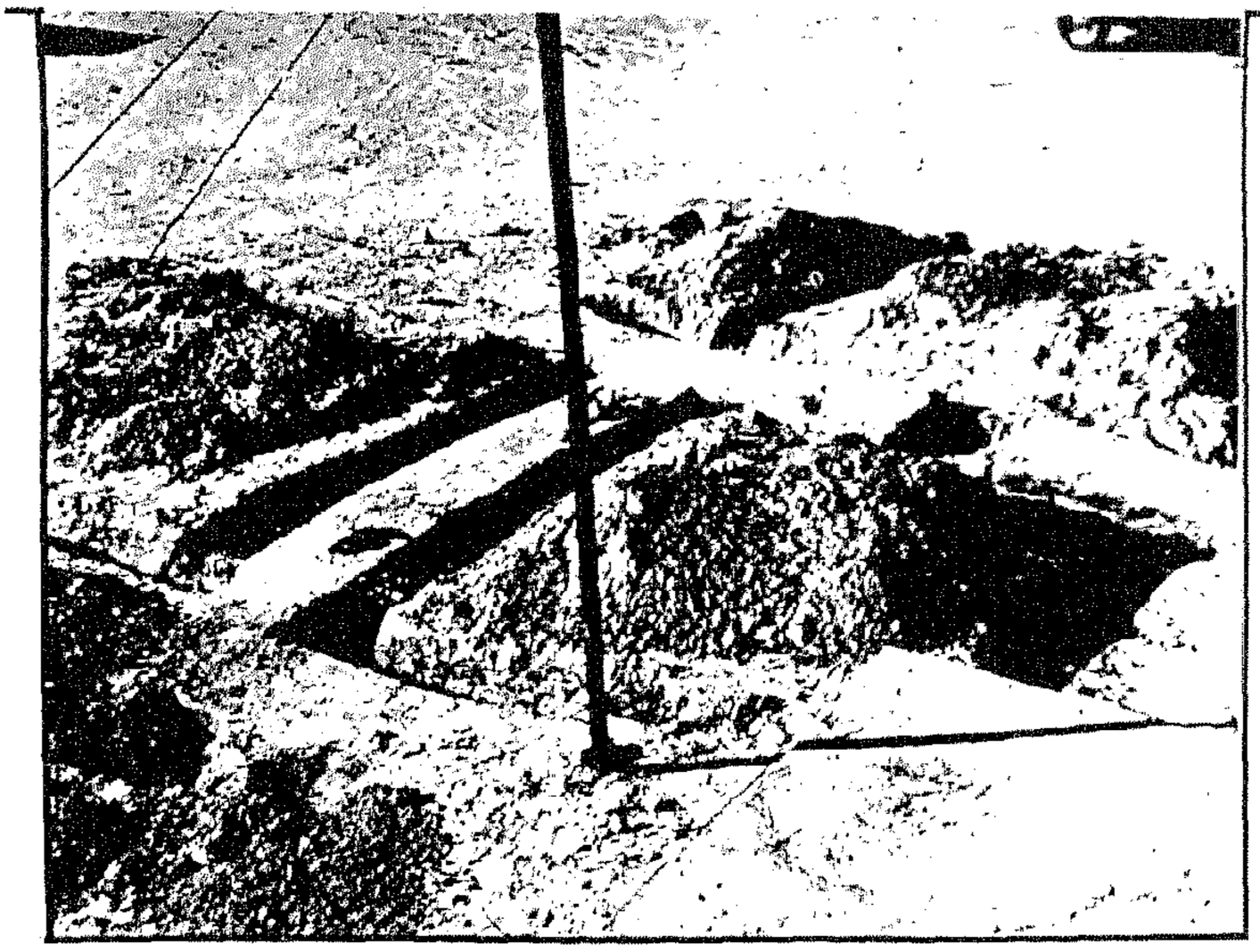

▲ ٨- جانب من الحجرةرقم (١) وقد امتد ركنها تحت رصيف المقر

مخطط رقم ٢

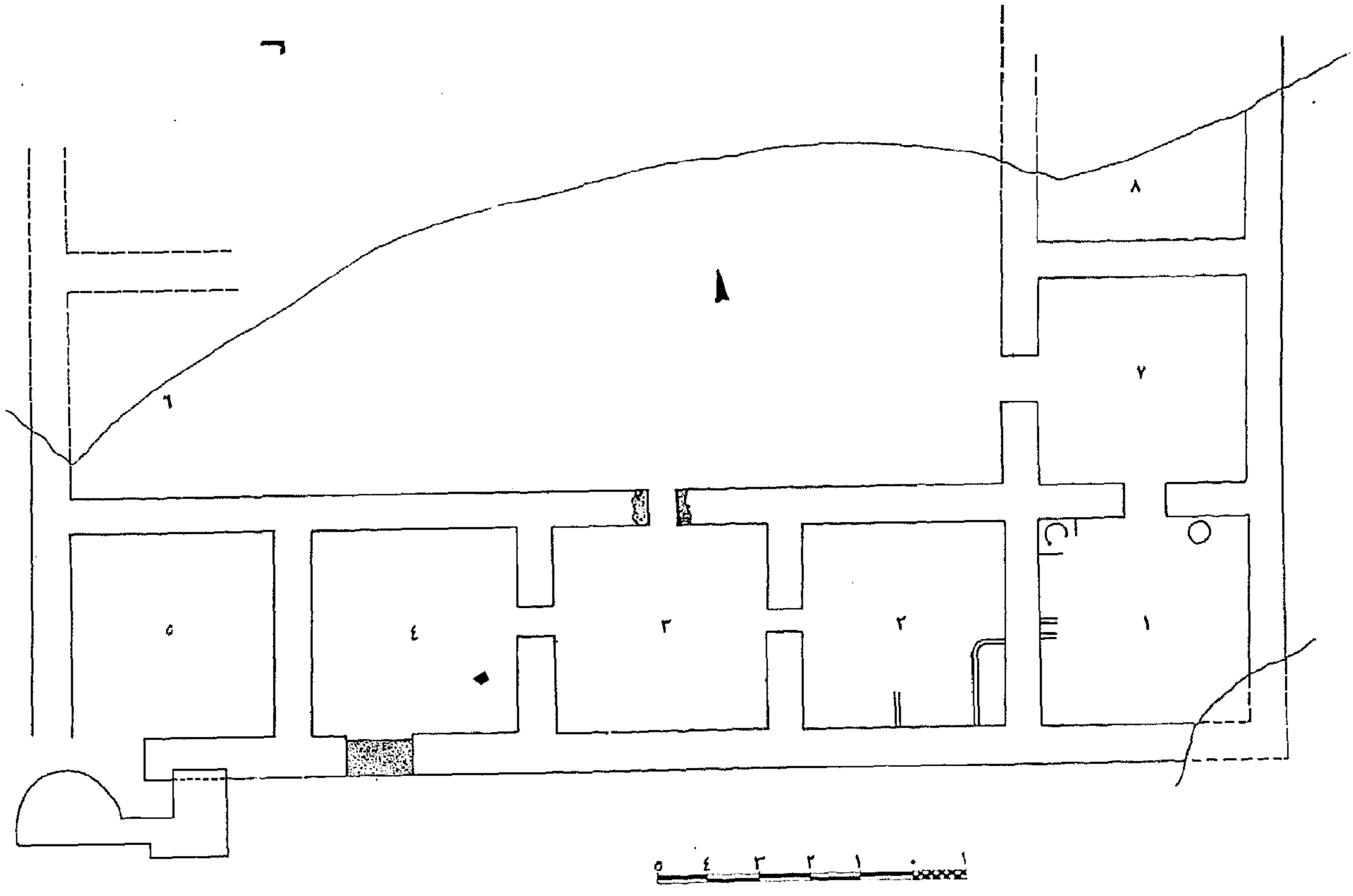

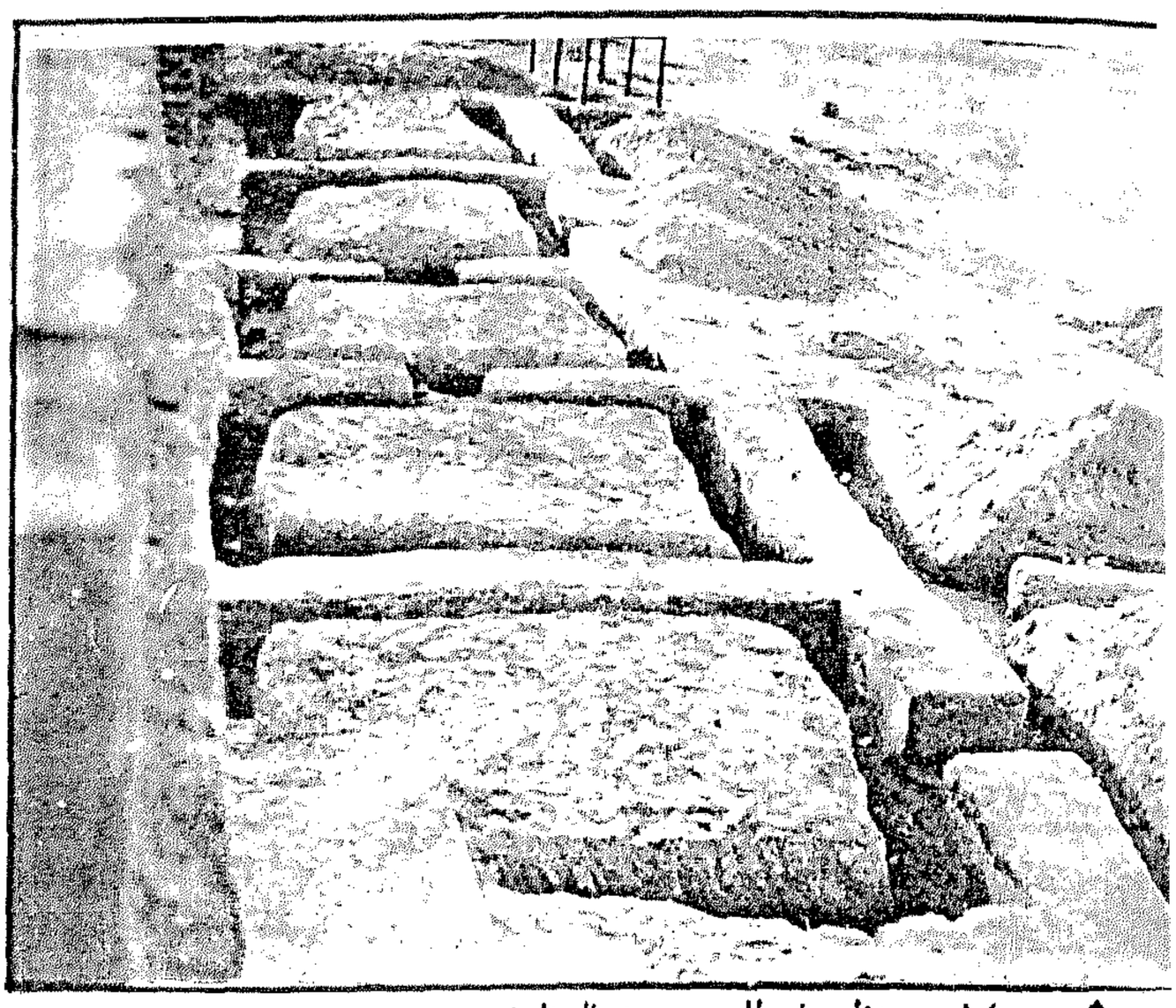

١٤- منظر عام للحجر بعد التنظيف -

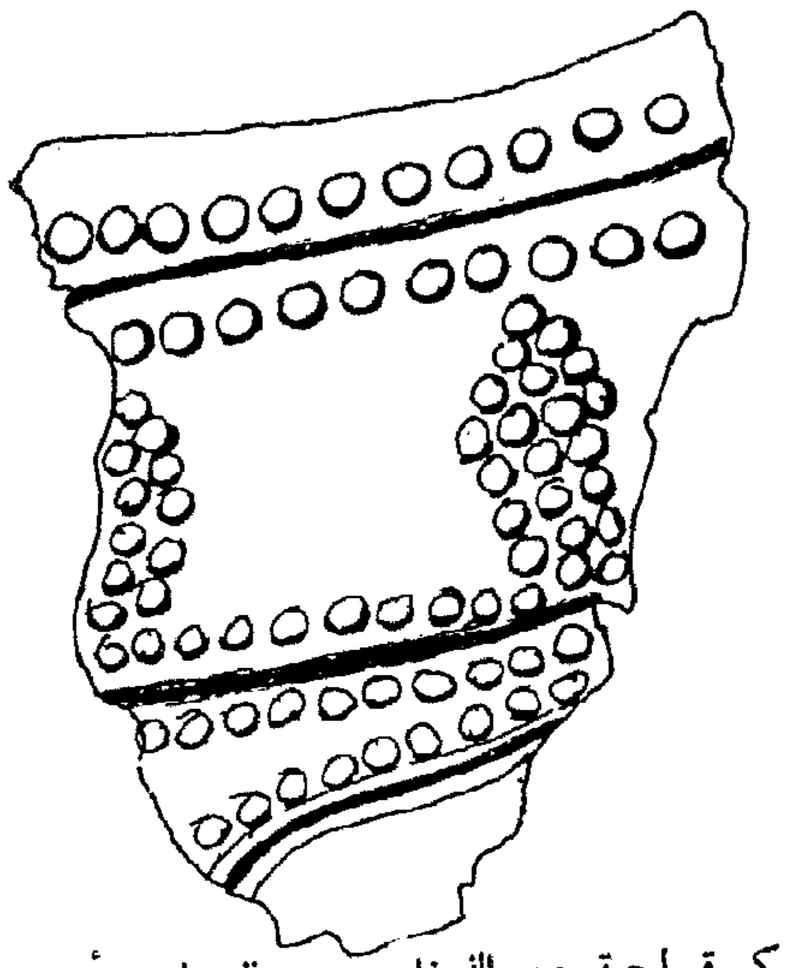

١٥- كسرة لجرة من الفخار مزججة بلون أخضر فاقع عليها عناقيد عنب وحبيبات ناتئة

ووجدت الهيئة ان طول الضلع الجنوبي للدار المكتشفة يبلغ (٢٤/٥ م) ابتداء من الشرق والى الغرب وعرضه حوالي (٢٠ م) ، والضلع الجنوبي يضم خمسة حجر اشرت في المخططة رقم (٢) وانظر المصورة رقم (١٣) ويعامد الحجرة رقم (١) حجرة ونصف تم العثور عليها ، وقد اشرت في المخططة بالرقم (٧) انظر المصورة رقم (٧ ، ٨) وربما يضم هذا الجانب وهو الضلع الشرقي للدار اربعة حجر لن نتوصل الى الكشف عنها لدثور معالمها نتيجة التخريب ويقابل الحجر المذكورة من ناحية الغرب اي (الضلع الغربي) من الدار اربع حجر ايضا كشفنا عن واحدة منها وقد اشرت بالرقم (٦) من نفس المخططة .

وكل هذه الحجر تطل على فناء مستطيل من جهتها الشمالية وقد خضع هذا الفناء الى القشط والتعديل في اوقات خاصة .

ومما يؤسف له ان الاعمال الحفرية الاثرية في هذه الدار والموضحة في المخططة رقم (٢) والمصورات رقم (١٢ ، ١٣ ، ١٤) ، لم تكن موسعة بالشكل المطلوب وانما كان الحفر الاثري مقتصرا وموجزاً لن يتعدى اسلوب تتبع الجدران لضيق الوقت بالنسبة لقرب انتهاء اعمال الصيانة في الاخيضر لذا لن نحاول افراغ الحجر المكتشفة جميعها من الرمال المتراكمة فيها وانما دار الحفر حول جدرها الداخلة والخارجة بمسافة ٥٠ سم وبعمق (٦٠ سم) انظر المصورات (١١ و١٢) وبعد الحفر والتنظيف ، وجدنا ان قياس كل حجرة من تلك الحجر المكتشفة (٤ × ٤ م) وان ثخن جدارها (٧٠ سم) مشيدة جميعها باللبن المربع قياسه (٣٢ × ٣٢ × ٧ سم) وتبين من الحفر والتنظيف ان جدر الحجر مكسوة من الداخل بطبقة من الجص ثخنها ٥ سم اما من الخارج فغفل من كساء الجص على غرار تشييد الدور المكتشفة في تلول الاخيضر وكذلك وجدنا أن ارضية الحجر مبلطة بطبقة من الجص ايضا . ونلاحظ من المخططة السابقة رقم (٢) ان احد ركني البرجين الشاخصين المذكورين كان قد شيد احدهما فوق جدار الحجرة رقم (٥) وانظر المصورة رقم (٥) مما يؤيد ان مجموعة الحجر المكتشفة هذه اقدم من بناء البرجين التابعين لقصر الاخيضر ، من ذلك يهدي البحث الاثري ان حجر الدار المكتشفة اقدم من بناء قصر الاخيضر بقليل ، ووجدنا ايضا ان الحجرة رقم (٥) كان لها مدخل تمكنا من تحديده بالرغم من التخريب الذي حصل في هذه المنطقة حول البرجين المذكورين .

وعثرنا كذلك على مدخل الحجرة رقم (٤) الواقع في الجهة الجنوبية منها ، وكان المدخل مغلقا بلبنات وكان عرضه (١,٥٠ م) يؤدي الى الحجرة رقم (٣) من باب وسطي عرضه (٥٠ سم) ومثله باب اخرى تؤدي الى الحجرة رقم (٢) ، وفي هذه الحجرة عثرنا في زاويتها الجنوبية عن بقايا دكة مشيدة بالجص طولها (١,٢٠ م) وعرضها (٢,٥٠ م) وارتفاعها (١٥ سم) وعثرنا كذلك عن بقايا حاجز جصي في منتصفها قياسه (٢٥ سم) وبارتفاع (١٠ سم) انظر المصورة رقم (٢) .

اما الحجرة رقم (١) فان ركنها الجنوبي الشرقي كما ذكرنا فيمتد تحت مباني مقر الهيئة وقد اشر بنقاط افتراضية انظر المخططة (٢) والمصورة رقم (٨) وعثرنا ايضا على مدخلها وكان يرتسم في وسطها ويؤدي الى الحجرة رقم (٧) وقياسه (٩٠ سم) انظر المصورة رقم (٧) .

هذا ولم نتمكن من البحث والتنقيب في القسم الشمالي من الدار لاندثار جميع المعالم نتيجة التعديل والقشط كما ذكرنا .

— حدود الحجره رقم (٧)

▲ ٩- جانب من الحجرة رقم (١) ومدخلها المؤدي الى الحجرة رقم (٧)

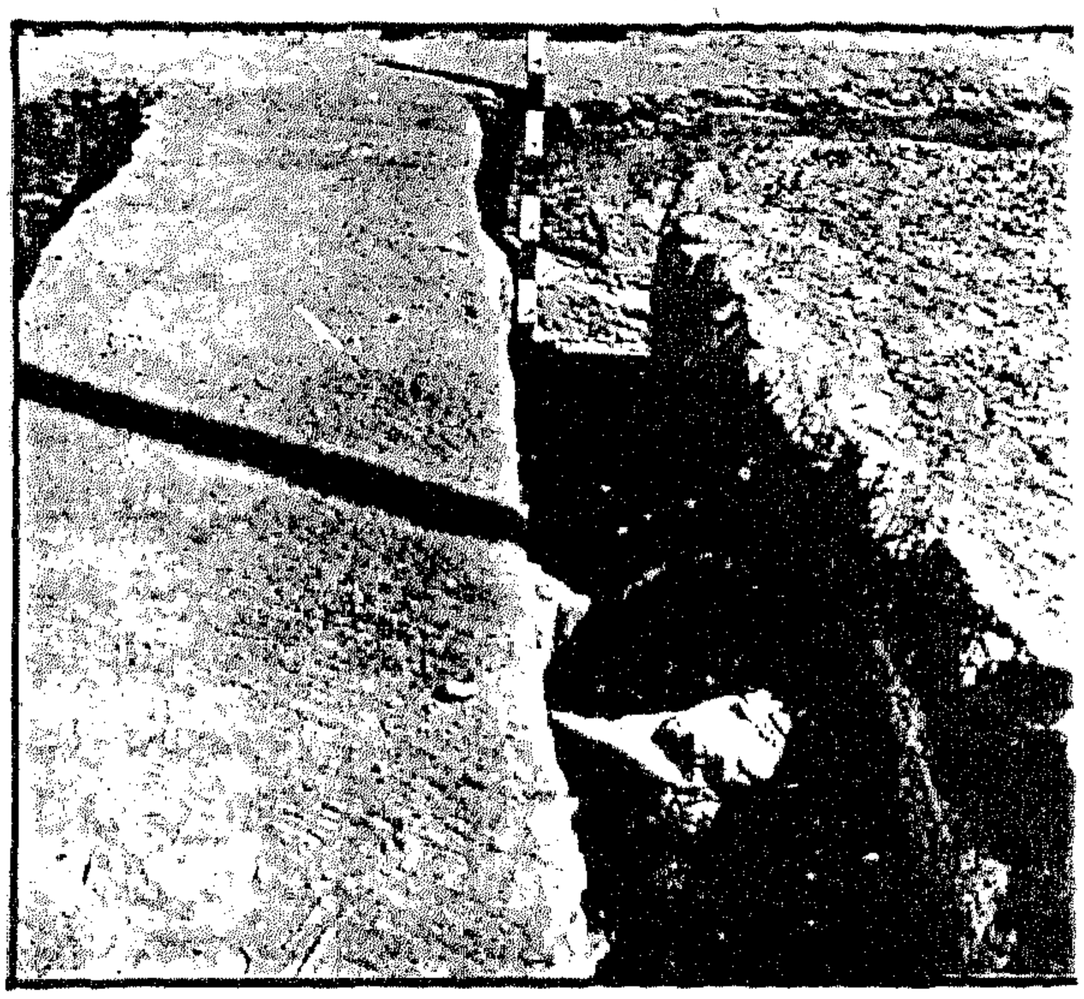

◀ ١١- جانب من الحجرة رقم (٢) وقد ظهر فيها بقايا جدار من اللبن وتحته مخزن للحبوب

▲ ١٣- منظر عام للحجرة الخمسية الجنوبية بعد تحديد جد

◀ ١٢- منظر عـام للحجرة رقم [١ ، ٢ ، ٣ ، ٤] بعد تحديد جدرها .

وبعد اخذ جميع المعلومات الاولية لهذه الدار قمنا بدفنها خشية التلف والضياع ولحين تقرير مصيرها مستقبلا .

اما اللقى التي عثرنا عليها فكانت تتألف من بعض كسر الفخار وكسر اخرى من قوارير الزجاج التي لايعتديها ، لان اغلبها وجد بالدفن وهذه الكسر تشبه تماما كسر الفخار وكسر الزجاج المعثور عليها في حفريات تلول الاخيضر . ومما هو جدير بالذكر ان كسرة هامة لباطية اوجرة مزججة بطلاء اخضر فاقع مزينة بزخرفة تمثل عناقيد عنب قوامها دوائر صغيرة ناتئة يحدهامن الاعلى والاسفل شريط دقيق يضم دوائر ايضا وجدت هذه القطعة في الحجرة رقم (٤) قياسها (٨,٥ × ٨,٥ × ١ سم) زمنها ربما يعود الى العصر الاموي . انظر الشكل (١٥) .

ونعيد القول انه لابد من اجراء حفائر اثرية في منطقة الاخيضر وبغير الحفائر لايمكن البت في تاريخ قصر الاخيضر على الوجه الدقيق ....

هامـــش

(1) Creswell. Early Muslim Architecture Vol. II Plat, 84. Fig. 68